الخبرة الجمالية في التربية

الدكتور منير سرحان

الاستاذ بقسم المناهج ـ كلية التربية ـ جامعة الرياض

مقدمـــة :

تمثل الخبرة التربويـــة فـــي الفكر التربوي الحديث ركيزة أساسية في بناء العملية التربوية بمراحل التعليم المختلفة · وهي في مفهومهـــا تختلف اختلافـــا واضحا عن الخبـــرة فـــي مفهومهـــا القديم · فهـــي عند التقدميين أساس النشاط الانسانـــي وأساس النمو ، ولها نوع من القوة الذاتية · وتكتسب من الحاضر أهميتها في المستقبل · وهي كذلك تمثل وحدة السلوك · وذلك على عكس ما كان مفهوما عنها من حيث أن العقل ينظمها وينتج عنها مهارة

بالمحاولة والخطأ · أما الخبرة حديثا فيدخل فيها عناصر التفكير والمبادأة والمعاناة والربط ·

كمـــا أن الناحية الجماليـــة تدخل في كل خبرة نستمتع بهـــا استمتاعـــا مباشرا لقيمتهـــا الذاتية ، وهـــي ليست مقصورة على الاستمتاع بجمال الطبيعة ، أو الاعمـــال الفنية وانمـــا تمتد الى الاستمتاع بكل عمل جيد يحقق هدفا أو مثلا أعلى ·

والخبرة الجمالية يجب أن تكون متوافقة مع حاجات التلاميذ وميولهم وقدراتهم ومراحل نموهم وأن يتمركز مضمونهـــا حـــول تنمية القدرة التعبيرية الابتكاريـــة لتوجيه التلاميذ نحـــو الأشياء الفنية ونحو الارتفـــاع بذوقهم الفنـــي وبتنميـــة قدرتهـــم على الاستمتاع الجمالي ·

١ ـ الخبرة والأسس الفلسفية للتربية :

من المسلم به في الفكر التربوى الحديث انه اذا انعزل التعليم عن الحياة والمجتمع ، تعثرت رسالته وفقد الكثير من أهدافه · ذلك أن التعلم الذي يحصله التلاميذ في المدارس في اطار هذا الانعزال لا يكون وظيفيا في حياتهم ويفقد أثره في سلوكهم ، ومن ثم لا يعد وسيلة صالحة للتربية بمعيار التربية في مفهومها الحديث · فالتربية لم تعد حشوا للعقول بالمعلومات والمعرفة الانسانية ، ولكنها عملية يكتسب الفرد عن طريقها خبرات تؤثر في سلوكه واتجاهاته طوال سعيه للتكيف مع البيئة وتحسينها · فاذا لم يؤد العلم الى ذلك ، واذا لم يتخذ شكل الخبرة الحية التي تؤثر ايجابيا في نمو الفرد وتساعده على توجيه سلوكه ، لم تكن له قيمة حقيقية ·

فالمعلومات لا تصبح علما أو ثقافة نافعة في الحياة الا اذا تفاعل العقل معها واستوعبها واندمجت في تكوينه ، فينمو بما يكسبه منها عن طريق استخدامها وتجريب صلاحيتها وتحويلها الىطاقة فكرية خلاقة أو نشاط عقلى يلائم بين نواحي التفكير المختلفة في حياة الانسان المتطورة ·

ان تلقين التلاميذ معلومات وأفكارا جامدة هو أحد عيوب التعليم التقليدى · وهذا النوع من التعليم يقوم على أسس منبثقة أساسا من الفلسفة المثالية اليونانية التي جعلت هدف التربية مقصورا على نقل التراث الثقافي للجنس البشري من جيل الى جيل ، واعداد الأجيال لتقبل هذا التراث واستيعابه ·

ان ما تتميز به الفلسفة المثالية بصفة عامة هو عنايتها بالفكر والمعرفة والتركيز عليهما أساسا ، ذلك أنها ترى أن الانسان لا يقدر على توجيه أفعاله نحو الخير الا اذا أدركه وعرفه · فاذا ما عرف الخير وأدرك قيمته استطاع توجيه أفعاله وسلوكه نحوه ، فالمعرفة اذن أساس الفضيلة ، ووظيفة النفس هي البحث عن الحقيقة الروحية المطلقة التي يتضمنها الكون والتي يتكون منها «مثال الخير»· لذلك كان طبيعيا أن تهتم التربية التقليدية التي قامت على هذه الفلسفة ، بالمعرفة أو بالعلم باعتباره وسيلة للسمو بالنفس ولتحقيق حياة الخير ·

ولهذا الاهتما مالزائد بالمعرفة في التربية التقليدية وجعلها الأساس ، أبعدت المادة الدراسية في اختيارها وتعليمها عن حاجات التلاميذ وعن شؤون الحياة العملية · فقد كانت هذه الفلسفة تميز بين عالم الروح وعالم المادة ، وترى أن وظيفة الروح هي المعرفة ، ويكون ذلك من خلال المعرفة النظرية والتأمل العقلى ومن ثم كانت حياة التأمل والتفكير هي المثل الاعلى للحياة الانسانية · بينما كانت ترى النشاط العملى على نحو وضيع لأنه يستهدف غايات مادية ، ويتصل بالمادة وتغييرها ، فضلا عن أن أدواته هي الجسم وليست الروح ·

والفلسفة المثالية متمشية كما هو معروف مع النظام الاجتماعي الذي كان قائما في اليونان ، وبخاصة في أثينا ، وهو نظام ينقسم فيه الناس الى طبقات ، ففيهم العبيد ومن في مستواهم من طبقة العمال الذين يقومون بالانتاج المادى اللازم للمجتمع من خلال الأنشطة الزراعية والصناعية وما اليها · وهؤلاء لا يصلحون لحياة التأمل العقلى · وفيهم طبقة المحاربين الذين يحمون أرض الوطن ، وفيهم الفلاسفة والأحرار الذين يعيشون على كد العمال ، وهؤلاء يشكلون الطبقة التي تتولى شؤون الفكر والثقافة · ومن ثم كانت « التربية الحرة » أي الخاصة بالأحرار ، وهي تربية لا تتصل بعمل أو بممارسة من أجل كسب العيش ، لان ذلك لا يليق بالأحرار ، وانما تتصل بالتفكير والمعرفة ·

هذه النظرة سيطرت على التربية سيطرة كاملة حتى القرن التاسع عشر ، وقد نتج عنها أن كان التعليم مقصورا على طبقة اجتماعية معينة ، هي طبقة الأغنياء الذين لا ينشغلون بأعمال كسب العيش ، وانما يقومون بتحصيل المعرفة لذاتها · أي المعرفة الثقافية المبحتة المفتقرة الى الخبرة الحية المربية · وبدا واضحا انعزال التربية عن واقع الحياة ، وعن حاجات التلاميذ وميولهم · وكانت تلك عوامل ضعف ظلت تلازم العملية التربوية حتى ظهور النهضة الصناعية والروح الديمقراطية واتجاه الدول الى تعميم التعليم وجعله ملائما لغالبية التلاميذ من حيث استعداداتهم العقلية والعملية · ولقد ساعد على ذلك تغير النظم الاجتماعية وظهور مطالب جديدة للحياة ، مما استلزم ظهور فلسفة تعليمية تنسجم مع هذا التغير ومع نتائجه ، من خلال التوفيق بين العلم والعمل ، وبين الثقافة وشؤون الحياة العملية ·

كذلك ساعد على ظهور الفلسفة الجديدة ، التطور الذي حدث في كثير من العلوم الانسانية ولاسيما في علم النفس الذي اتجه اتجاها بيولوجيا ركز فيه على أن التفكير مرتبط بوجود دوافع ، وأن هناك تفاعلا عضويا بين المعرفة والعمل · ذلك أن الطفل يكتسب المعرفة من خلال رجوعه للمثيرات وادراكه للنتائج المترتبة على ذلك · ومن ثم ظهور مبدأ التعليم عن طريق العمل ، شعارا للفلسفة الحديثة·

وتبعا لذلك فان النظرة الحديثة للتربية تجعل أساسها النمو وبالتالي فان الاهتمام بالنمو اهتمام بالطفل · وهكذا أصبح الطفل وحاجاته العقلية والنفسية والجسمية محور العمليات التربوية والنشاط التعليمي ، كما أصبحت العناية بالفروق الفردية سمة تربوية متميزة تعنى بتنمية الطفل كفرد متميز عن غيره ، وبتحقيق حاجات نموه وتكوين شخصيته مع عدم اغفال أن للنمو شروطا عامة تنطبق على جميع الأطفال · وهكذا جاءت التربية الحديثة مؤكدة احترام الفردية ، وتمثلت فلسفة « روسو » في تقديره للفردية ، وأن هدفه من التربية هو تهيئة

الظروف التي تكفل نمو الشخصية الانسانية ورقيها ٠

ان الحياة الديمقراطية تقوم على تقدير الفرد الانساني وقيمته الذاتية ، وقدرته على تحديد نشاطه وغاياته ، وعدم اتخاذه وسيلة لتحقيق غايات غيره ٠ وبمعنى آخر فان الديمقراطية تتمثل في الايمان بقدرة الفرد وتمكينه من بلوغ غاياته وفق ما تؤهله له أقصى درجات النمو التي تسمح بها طاقاته واستعداداته ٠ والديمقراطية على هذا النحو ترى في تنوع الشخصيات واختلافها ميزة تتمثل في تنوع النشاط في المجتمع وحركته التقدمية ٠

ولقد كان لرسو اتباعه ، وكلهم أخطأوا ، ويتمثل خطؤهم في غفلتهم عن أن لطبيعة الفرد جانبها الاجتماعي وجانبها الفردي ٠ وأن شخصيته لا تتكامل الا بالتوفيق بين الناحيتين ، بل ان عدم التوفيق بينهما يعرض صحته النفسية وصحته العضوية للمرض ٠ كذلك فان النمو لا يحدث في فراغ ، ولا يأخذ طريقه الا من خلال حياة الجماعة ٠ والنمو السليم للفرد على أي حال لا يتأتى الا عن طريق المؤثرات التربوية المتمثلة في حياة الجماعة بما فيها من لغة وتقاليد وقيم وعلاقات وغيرها من المحددات والضوابط الثقافية المختلفة ٠ فالحياة الاجتماعية هي التي تجعل الانسان انسانا ، والفرد لا يحقق ذاته الا في محيط اجتماعي ٠ فذلك شرط لنمو قواه العقلية والنفسية ٠ ان النمو لا يحدث للعوامل الداخلية فقط ، بل نتيجة التفاعل بينها وبين مؤثرات البيئة٠ وهكذا كان للبيئة الاجتماعية أثرها الواضح في تنشئة الطفل ، وكان للأسرة والجماعات المختلفة تأثيرها في بناء شخصية الافراد ٠

وانطلاقا من الفهم السليم لطبيعة الفرد وحاجات نموه ، وضرورة تكيفه مع البيئة المحيطة ، فان على المدرسة أن تهيىء الامكانيات والمواقف التي تساعد الطفل على النمو السليم وذلك لا يتحقق عن طريق تلقينه بالمعلومات بل عن طريق تنمية استعداداته وميوله وترقيتها الى أقصى حد ممكن مع توجيهها توجيها صحيحا ٠ كذلك يحدث النمو نتيجة لنشاط الانسان في سعيه لاشباع حاجاته ٠ ويكون ذلك نتيجة لاستجابته للمؤثرات الخارجية المادية منها والمعنوية ، لذلك فان على المدرسة ان تهييء الوسائل والامكانيات لاستثارة النشاط وتوجيهه نحو الغرض المنشود ٠

ثم ظهرت فلسفة « ديوى » وهي فلسفة برجماسية ـ عملية تجريبية ـ وأساسها أن الانسان لا ينقسم الى جسم وعقل ، وانما هو ككائن حي يمثل وحدة تسعى الى التكيف مع البيئة المحيطة ، ولا يحدث ذلك الا بالتأثير المتبادل بينهما ٠

وان ذلك يعني وجود تفاعل مستمر بين الفرد وبيئته · وأن هذا التفاعل هو أساس النمو ، واذا اختل التوازن بين الفرد والبيئة ، ظهرت عند الفرد حاجة له تدفعه نحو النشاط لتحقيق ذلك · وهذا التفاعل بين الكائن والبيئة يعني أنه لا يمكن أن يحدث انفصام بينهما ، لانه في حد ذاته ايجابي · ويزيد مقدار ايجابيته كلما ارتقينا في سلم المملكة الحيوانية ، أي أن الانسان المتحضر أكثر ايجابية من البدائي · فالبدائي اذا أمطرت السماء يدخل كهفا ، واذا انقطع المرعى من مكان رحل الى غيره ، وأما المتحضر فيشيد السدود ويقيم الجسور ويستنبط نباتات ويزرعها ·

وهذا النشاط الصادر عن الانسان مصدره الدوافع والمحركات التي فيه ، وهي الحرص على البقاء واستمرار الحياة · واذن فعملية النشاط هذه تتضمن العوامل التي تساعد على التفاعل · واذا كان الكائن يملك المبادأة ، فهو يبدأ ويفكر ويقوم بعمل ما · ثم يحس برد فعل هذا العمل ، أي بنتيجته ثم يربط أخيرا بين العمل ونتيجته بمعنى معاناته أو ادراكه للعلاقة بين العمل والنتيجة ·

ويرى ديوى أن هذا النشاط هو العنصر الأصيل في الحياة العقلية والنفسية أما المعرفة فليست الا نتيجة من نتائج النشاط · ووظيفتها تتمثل في توجيه النشاط نحو تحقيق غايته · كذلك يرى هذا الفيلسوف أن التفكير كظاهرة عقلية ، انما ظهر في طور متأخر من أطوار نشوء الكائنات الحية بمثابة أداة لاحكام التلاؤم مع بيئة متغيرة تظهر فيها مواقف جديدة بصفة مستمرة ، كذلك لا يظهر عند الافراد الا اذا كانت هناك حاجة اليه لتوجيه النشاط وفقا لتلك المواقف ، ومن ثم فان قيمة أية فكرة لا تتضح الا بتطبيقها · فاذا نجحت ، كان ذلك دلالة على نجاح النشاط القائم عليها في تحقيق غايته ، وبالتالى فان الفكرة صحيحة · واذا لم ينجح النشاط في ذلك ، كانت الفكرة خاطئة ، وهكذا فان كل فكرة هي في الحقيقة تجربة ·

والخبرة عند ديوى هي أساس التربية ، وهي أيضا نتيجة تفاعل الفرد مع البيئة لان الانسان حين يستثار بمؤثر بيئي ، فانه يستجيب على نحو من الانحاء · أي يفعل شيئا ما ثم يعاني نتيجة فعله · ويعني ذلك أن يكتسب المؤثر معنى جديدا في ذهن الانسان · ويوضح ديوى ذلك بمثال الطفل الذي يثيره وجود لهب مضيء فيمد يده اليه فيحترق ، ومن ثم يرتبط اللهب عند الطفل بالشعور بالألم · أي أن اللهب قد اكتسب معنى جديدا يتمثل في كونه شيئا مضيئا محرقا بدلا من كونه شيئا مضيئا فقط · ان هذه العملية بجوانبها الثلاثة هي الخبرة · فعناصر الخبرة هي : الفعل أو النشاط ، والشعور بنتيجة النشاط ، والربط بين النشاط والنتيجة بمعنى المعاناة ·

وبهذا الربط تدرك العلاقة الجديدة في الموقف وتكتسب المعرفة · فالخبرة اذن تؤدي الى التعلم ، وعناصرها ثلاثة كما ذكرنا ، والعاملان اللذان يكونان الخبرة هما : الفرد نفسه والظروف الخارجية المحيطة به · ومن ثم كان الاتجاه الصحيح في التربية ألا تعمل ما عملته التربية القديمة ، فتهمل الفرد وتهتم بالمعلومات ·

والتعلم واكتساب الخبرات لا يقتصر على كسب المعرفة ، بل يمتد ليشمل تعديل السلوك · ان المعنى المكتسب عن طريق ربط العمل بالنتيجة التي ترتبت عليه يؤدي الى تعديل السلوك في المستقبل ، فالطفل لن يمد يده مرة ثانية الى اللهب · ان ذلك يعني أن المعرفة التي اكتسبها الطفل في هذا الموقف هي معرفة وظيفية · وفي نفس المعنى نسوق الحديث الشريف « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » · وهكذا يشمل التعلم كسب المعاني المتمثلة في الحياة البيئية وتوجيه السلوك وفقا للمعاني المكتسبة ، وهو بهذا نمو · فالخبرة الناجحة هي التي تصاحبها آثار أخرى كالقيم والاتجاهات وما الى ذلك ·

٢ ـ الخبرة الجمالية وتحصيلها :

الخبرة ظاهرة مستمرة لا تنقطع ، لأن التفاعل بين الفرد والبيئة المحيطة به عملية تتضمنها الحياة ، فمن ظروف الصراع من أجل التكيف واشباع الحاجات، تأتي العوامل والعناصر التي ينطوى عليها تفاعل الفرد ، فتصبح الخبرة بالانفعالات والافكار مما ينتج عنه الاتجاه الواعي · أي أن الانسان في صراعه وكفاحه يكون متعرفا عليه ، وواعيا بأسبابه ومن ثم فان الخبرة نوع من المحتوى الحياتي كما يراه الفرد الانساني عن شعور وادراك عندما يكون في تفاعل ايجابي مع بيئته ·

والخبرة قد تأتي ناقصة ، كما يحدث كثيرا عندما يعترينا نوع من الغفلة والتشتت أو عندما نبدأ نشاطنا ثم نتوقف بسبب المعوقات الخارجية أو الداخلية التي تأتي ، فتحول دون استمرار النشاط ، وبالتالي دون اكتمال الخبرة · أما اذا استمر النشاط في طريقه نحو الاكتمال ، واتجهت عناصر الخبرة نحو التحقيق فاننا نكون قد حققنا خبرة ·

وللخبرة وحدتها التي تحمل اسمها وتتسم بها · فقد تتسم أي رحلة مثلا بنشاط عملي ، وتتسم أي حفلة بنشاط انفعالى ، في حين تتسم المناقشة العلمية بنشاط ذهني · ووجود هذه السمات متكاملة في الخبرة ، لا يمنع الفكر من أن يميزها داخل هذه الوحدة · بمعنى آخر لو أننا استعرضنا ذهنيا أية خبرة بعد حدوثها · لوجدنا أن سمة معينة تبدو أكثر وضوحا من غيرها في هذه الخبرة

لدرجة أنها تطبع الخبرة بطابعها وتكون انعكاسا لوحدة الخبرة ٠

ووجود هذه الوحدة في الخبرة انما يتكون بفعل الكيفية الفردية التي تشيع في الخبرة كلها بالرغم من تنوع الأجزاء التي تدخل في تكوينها ٠ وتبعا لذلك لا تكون هذه الخبرة انفعالية أو عملية أو ذهنية فقط ، اذ من المؤكد أنها كانت تتضمن في أثناء حدوثها صفة انفعالية الى جانب صفتها الذهنية أو العملية ٠ والحقيقة أن الخبرة ليست محصلة لكل من هذه الصفات ، ولكنها محصلة لاندماجها معا ككل وافتقار معالمها كصفات متمايزة٠ والخبرة على هذا النحو تصبح كلا منسجما يتصف بالوحدة بين جميع عناصره ، وهذا الانسجام يعتبر ناحية جمالية ومن ثم كان هناك سؤال طرحته الفلسفة التقدمية وهو : أين الخبرة الجمالية ؟؟ يقول جون ديوى : افرض أنك بدأت عملا ولم تنته منه ، فهذا عمل غير تام ٠ أما اذا انتهى فهذا عمل تام ٠ وعلى ذلك فنهاية الخبرة تمثل الناحية الجمالية ٠ واذا كان التركيز على النتيجة والوصول اليها كانت الخبرة عقلية ، واذا كان التركيز على العملية نفسها تكون الخبرة جمالية ٠

ومع هذا فللخبرة الذهنية جانبها الجمالى ، لان للخبرة الذهنية هدفها الذي تعمل على تحقيقه ، والذي يقود الاعمال الداخلة فيها ، ويكيف الوسائل المختلفة نحو اتمام هذه الخبرة وتحقيقها لهدفها ، فالخبرة الذهنية كي تصل الى نهايتها لا بد وان تكون خبرة جمالية ٠

كذلك ينطبق هذا القول على الخبرة العملية ، فالنشاط العملى يتمثل في أفعال صريحة ملموسة تنتهي الى اكتمال العمل ، فينشأ عن ذلك احساس بنمو المعنى واستمراره وتزايده واتجاهه نحو غاية مقصودة ٠ والنشاط العملى على هذا النحو يكتسب بالضرورة صفة جمالية ٠ أما اذا كان النشاط العملى آليا يمارسه الفرد دون احساس بموضوع هذا النشاط وغايته ، فان هذا النشاط يصل الى نهايته ، ولكنه لا يصل الى اتمامه أو اكتماله في الشعور ٠ وعندئذ لا يمثل هذا النشاط الآلى خبرة عملية ذات صفة جمالية ٠

ان الناحية الجمالية تدخل في كل خبرة نستمتع بها استمتاعا مباشرا لقيمتها الذاتية ٠ وهي بذلك ليست مقصورة على الاستمتاع بجمال الطبيعة أو سائر الأعمال الفنية الجميلة ، وانما تمتد الى الاستمتاع بكل عمل جيد يحقق هدفا أو مثلا أعلى ٠ فكل نشاط عملى يتصف بالتكامل ويتحرك بدافع نحو الاكتمال يتصف بالصفة الجمالية ٠ فالنجار الذي ينتهي من عمل مقعد وينظر اليه في اعجاب واستمتاع بجهوده التي بذلها كما يجب ، كي تاتي النتيجة مطابقة لمثله العليا ، والمهندس الذي يرضى عن عمله الذي يتمثل في المنزل الذي قام بتصميمه

وأشرف على بنائه ، والطبيب الذي يجري العملية الجراحية وفق سلسلة نشاطات متكاملة يبغى منها العمل السليم النافع الذي يحبه ويرضى عنه ، كل أعمال هؤلاء تمثل خبرة جمالية ٠

وتوضح لنا هذه الأمثلة العناصر الاساسية للخبرة الجمالية ، تلك العناصر التي تتمثل في حب الفرد للمثل الأعلى للعمل الجيد ، والشعور بالحاجة والدافع لتحقيق ما يمكن من هذا المثل الاعلى ، والشعور بالرضا عند تحقيق أكبر قدر منه٠

على أننا نشير الى أن الاهتمام غير موجه بصفة خاصة الى النتيجة المحصلة ، بل هو موجه نحو النتيجة كثمرة للعمل أو النشاط بصرف النظر عن كونها النتيجة المرغوبة ، فذلك لا يتعارض مع كونها خبرة ذات صفة جمالية ٠ ذلك أن بداية النشاط وتحركه نحو التحقيق أو الاكتمال ، واهتمامه بالمعوقات والمعينات التي يلقاها في حركته ، وصولا الى أقصى طاقات حركته ، انما يمثل خبرة متكاملة وذات صفة جمالية ٠

والخبرة الجمالية كجميع الخبرات الأخرى ، هي تفاعل بين الفرد وبيئته ، ومن ثم فليس هناك حد فاصل بينها وبين غيرها من الخبرات الأخرى ٠ ذلك أن جذور الخبرة الجمالية انما توجد في الخبرة العادية ٠ حيث يكون هناك الانسجام والتكامل في النشاط الذي يؤدي الى العمل المنظم وتحقيق غايته ٠

والخبرة الجمالية ذات صفة انفعالية ، لأن للانفعالات صلة وثيقة بالاحداث والموضوعات في حركتها داخل النشاط الانساني ، وبهذا يكون الانفعال خاصا بذات مشغولة بحركة الأحداث والموضوعات في النشاط الهادف الذي يتسم في نفس الوقت بأنه أكثر محسوسية منه في مجال الخبرات العقلية ٠

وهناك أساس مشترك بين جميع الخبرات يتمثل في أن كل خبرة هي نتيجة التكيف الناشىء عن تفاعل الفرد مع بيئته ، وأن هذا التكيف يتضمن عملا ومعاناة على نحو ما ٠ ومن المؤكد أن ادراك العلاقة بين عمل الفرد ومعاناته من جراء عمله الشيء ، لهو عمل من أعمال الذكاء ٠

ولما كان الفنان محكوما في عمله بادراكه للعلاقة بين ما قام به وبين ما سيقوم به ، فان القول بأن الفنان لا يفكر بانتباه كما يفعل الباحث العلمي قول باطل ٠ ذلك أنه يعاني بطريقة شعورية تأثير كل موضع لفرشاته ، والا أخطأ اتجاهه الذي يسير في عمله ٠ بل أكثر من ذلك ، فانه يدرك العلاقة بين جزئيات عمله كجزئيات ، وادراك العلاقة بينها في اطار الكل الذي يرغب في انتاجه ،

وادراك مثل هذه العلاقات ، انما هو التفكير بعينه ان لم يكن أضبط نوع من التفكير ٠

ان تقليل دور الذكاء في العمل الفني ، انما يرجع الى ربط التفكير في الخبرة العقلية ، بمواد وعناصر ذات كيفية مألوفة تتمثل في الالفاظ والكلمات ٠ بينما يكون الارتباط في الخبرة الجمالية ، باستخدام عناصر ذات كيفية خاصة ، تلك هي المواد والخامات والأشكال ٠ ان التفكير بلغة الرموز الشكلية لا يقل صعوبة عن التفكير بلغة الرموز اللفظية أو الرياضية ٠

٣ ـ الخبرة الجمالية في التربية :

للتربية الجمالية دورها الفعال فيالارتقاء بالأعمال الفنية وبالخبرة الجمالية لدى الافراد ٠ فالتربية الجمالية تساعد على نمو الشخصية الانسانية نموا متكاملا من خلال الاندماج في النشاط البناء الخلاق والاستمتاع به ، وغرس وتنمية قيم واتجاهات انسانية تتصل بتنمية العاطفة والوجدان والمعرفة الحسية وتدريب الحواس ، والتعبير عن النفس وانفعالاتها والتوحيد بين المشاعر من أجل التماسك الاجتماعي ، واكتساب المهارات والمعلومات المختلفة ٠ ذلك أن الخبرة الفنية أو الجمالية تشمل عملية تفكير خلاق ، فلا يصل الفنان الى هذه الخبرة عن طريق الالهام فقط ، وانما عن طريق خبرته السابقة وتجاربه المتعددة وقراءاته ومشاهداته وتأملاته كذلك ٠ ان العمل الفني يلزمه فترة تسبقه ، يتشبع فيها كل من العقل والعاطفة والاحساس بكل ما يتصل بالشكل الفني بحيث يؤدي ذلك كله الى مرحلة انطلاق يظنه الفنان الهاما ، ولكنه النتيجة المترتبة على التراكمات الكمية والكيفية التي انطوت عليها عملية التركيز والاهتمام التي سبقته ٠

وغالبا ما يظهر الالهام عقب فترات الراحة ، ويرجع ذلك الى دور الراحة في تخفيف حدة الانتباه ، وتحرر التفكير من بعض شوائبه ومعوقاته ٠ كذلك فان تخفيف حدة التركيز أو ارجائه لفترة ما ، يؤدي الى تفكك عناصر المشكلة ، وبالتالى يتمكن العقل من ادراك العلاقة بين عناصرها المفككة ، واعطائها دلالة ومعنى جديدا يساعد على اعادة تجميعها وتنظيمها في كيفية كلية جديدة ٠

وعلى أساس ارتباط الالهام بالخبرة ، فان أهمية التربية الجمالية تبدو واضحة ٠ ذلك أنها تعمل على اكساب الخبرات اللازمة لذوي القدرات المختلفة كي يتمكنوا من القيام بالتعبير الجمالى ، اذ لا الهام بدون تحصيل وتفكير ومعاناة ٠ ومهمة المربي الصحيحة ، تتمثل في تهيئة المواقف السليمة والظروف الموضوعية ، والعوامل التنظيمية التي تتصل بمادة النشاط الفني وخاماته وأدواته والوضع الكلى للموقف الذي يشغل التلميذ ، أي تهيئة البيئة التي ستتفاعل مع قدرات

التلاميذ وحاجاتهم لايجاد خبرة جمالية · والفنون التشكيلية كمواد دراسية ، هي بطبيعتها مواد محببة ، يسهل تكييفها تبعا لحاجات التلاميذ وقدراتهم ، كما يسهل على التلاميذ تكييف أنفسهم معها ، والاستجابة الانفعالية لمحتوياتها وكيفياتها ·

كذلك يجب على المدرس أن يعمل على تزويد التلاميذ بخبرات ذات قيمة من حيث تأثيرها الوقتي الذي يتصل بمدى تقبلها · ومن حيث تأثيرها في الخبرات التالية · ان المهمة الناجحة للمربي تتمثل في تقديم خبرات لا تنفر التلميذ بل تشغل نواحي نشاطه ، وأن تكون ممتعة وتساعده على اكتساب خبرات قادمة ، وأن تكون ذات نمط مثمر وابتكارى في الخبرات القادمة كي تصبح خبرة مربية وكي يتحقق القول بأن التربية نمو داخل الخبرة وبالخبرة وللخبرة · كذلك تمتد مهمة المدرس الى قدرته على التنظيم التقدمي للمادة الدراسية · ذلك أن التنظيم الجيد يتوافق مع نمو الخبرة وبدونه تتشتت الخبرة · ومن أكثر المواد الدراسية توافقا مع امكانية التنظيم التقدمي هي مواد الفنون ولا سيما العملية منها · ذلك أنها وفقا لطبيعتها المحسوسة تهيئ الفرص لتسلسل خطوات وعمليات تنظيمية علمية · فالاحساس بالمشكل الفني والوصول الى حل سليم له يتطلب السير في خطوات الملاحظة والتأمل والتجريب والمعاناة والتنفيذ والتقييم · ومن هنا فان الخبرة المكتسبة من خلال التنظيم التقدمي في تدريس الفنون تكون خبرة ذات نظام علمي · ولا غرابة في ذلك فمما لا شك فيه أن الخبرة الراهنة التي يعكسها التقدم التكنولوجي ، انما كانت نتيجة للتطوير العلمي لعمليات انتاج السلع والفنون العملية ·

والخبرة الجمالية يجب أن تكون متوافقة مع حاجات التلاميذ وميولهم وقدراتهم ومراحل نموهم · ومن ثم فهي تختلف وتتنوع تبعا لاختلاف الخصائص التي تنطوى عليها شخصية التلميذ وحاجاته وقدراته في مرحلة نمو معينة · كذلك تختلف باختلاف النظريات التي تتعلق بالفن ووظيفته ، وبالنشاط الفني واتجاهه ، فقد تباينت وظيفة الفن في الاطار الاجتماعي بين ذاتية وجماعية ، وتراوح دور الفن بين :

أ ـ جمالى ·

ب ـ تعبيري مريح للنفس ·

جـ ـ حرب على الانعزالية في الحياة للانطلاق الى الايجابية المتفائلة ·

كما اختلفت مهمة الفنان من كونها مجرد تقرير وتسجيل لواقع الحياة واحداثها وصورها ، الى ضرورة اتخاذه موقفا معينا ازاءها يلتزم به ويدافع عنه ·

كذلك اختلف اتجاه الفن في الاطار الاجتماعي بين كونه تسجيلا للواقع الخارجي يعتمد على تصوير الطبيعة الخارجية والاهتمام بالمدركات الحسية ، وكونه تعبيرا نابعا من طبيعة الفنان الداخلية ومنبثقا من أحاسيسه ومشاعره ، وكون العمل الفني الاصيل كيانا خاصا بذاته مجردا عن أي موضوع خارجي وعن أي تعبير عاطفي · فجوهره الفني يتمثل في جمال التكوين البحت واتزان الاشكال والألوان والكتل والمساحات ·

ولكن مضمون الخبرة الجمالية على الرغم من أنها يجب أن تكون متوافقة مع حاجات التلاميذ الخ ـ كما ذكرنا ـ وعلى الرغم من تنوعها واختلافها تبعا لاختلاف الخصائص الخاصة بالطفل في مراحل نموه ، واختلاف النظريات التي تتعلق بالفن ووظيفته ··· الخ · فان مضمون الخبرة الجمالية هو الذي يتمركز حول تنمية القدرة التعبيرية الابتكارية لتوجيه الافراد نحو الاشياء الفنية ، ونحو الارتفاع بذوقهم الفني ، وتنمية قدرتهم على الاستمتاع الجمالى ·

ولعل ذلك يكون من أهم أدوار التربية الفنية التي يجب أن تسعى الى تحقيقه داخل المدرسة وخارجها، ذلك أن المدرسة هي المؤسسة التي تضم الكفاءات المتخصصة القادرة على تنمية الاحساس بالجمال وتذوقه والتعبير عنه وابتكاره · وينبغي ألا ينحصر نشاط التربية الفنية داخل الفصول ، وانما يجب أن يمتد ليشمل البيئة المدرسية كي يعمل على انتشار الخبرة الجمالية بين أفراد المجتمع المدرسى كله · وانتشار الخبرة الجمالية ينعكس في أخلاق التلاميذ وأنماط سلوكهم وجمال ملبسهم ، ومدى احترامهم لقوانين المدرسة وتقدير العلاقات التي تقوم على المحبة والتعاون · والتفكير المنطقي المنظم الذي يحقق الهدف ، والادارة المنظمة التي تحترم الفرد الانساني وتشجعه على التعبير عن طاقاته · والاتصال اللغوى الجميل · كذلك يجب أن يمتد أثر الخبرة الجمالية الى البيئة الخارجية ، كي تتحول قدر المستطاع الى بيئة ذواقة مقدرة لكل ما هو جميل في القول والعمل · وهكذا يكون للتربية الفنية أثر في تنمية الذوق والحساسية ، وفي تقدير الجمال وتذوقه ·

على أننا نشير الى أن نشاط التربية الفنية ينبغي ألا يركز كما هو ملحوظ على ممارسة الفنون الجميلة كالرسم والتصوير وفي هذا الصدد تجب الاشارة الى أمرين هامين :

اولهما : أن هذه الفنون هي من النوع الذي يتصل بالتعبيرات النفسية ، ومن ثم قد تجيء غير متضمنة لقيم جمالية، وعندئذ يقنع المدرس بأنها كانت وسيلة

للتعبير النفسى وتفريغ الشحنات الانفعالية غير أن ذلك لا ينبغي أن يقلل من أهمية تزويد التلاميذ بخبرات جمالية ابداعية وتذوقية تتصل بجمال البناء الفني ووحدته وادراك علاقاته التنظيمية وقيمه الجمالية التشكيلية ، مع العناية بزيادة الاستمتاع بالاتزان والايقاع وغيرها من القيم والعلاقات والقوانين المتضمنة في كيان الأشكال المرئية ٠

وثانيهما : أن موضوعات الفنون الجميلة التي تتناولها التربية الفنية يجب أن تنبثق من مشكلات الحياة الواقعية ، وأن تعالج ـ ضمن ما تعالج ـ مشكلات التذوق للفنون التطبيقية التي يتطلبها الانتاج الصناعي في المجتمع ٠ ويجب أن تمتد مسؤولية التربية الفنية لتشمل غرس وتنمية الوعي الصناعي ، وتكوين اتجاهات ذواقة للقيم التشكيلية في الانتاج الصناعي ٠ وان تفهم خصائص التصميم الجيد من حيث جمال الشكل وجمال الأداء الوظيفي في الفنون العملية يساعد على تجسيد الخبرة الجمالية وتعميقها ٠ كذلك فان تجريب الخامات بقصد تفهم خصائصها واكتشاف امكانيات جديدة لاستخدامها يثرى الخبرة الجمالية . ويزيد من وضوح معناها ٠ وينبغي أن تمتد النظرة التربوية السليمة في مجال التربية الفنية الى وسائل التصنيع الحديثة ٠ ومن ثم تبذل الجهود لتكييف تلك الوسائل للاستفادة منها في تدريس الاشغال والفنون العملية ٠ ان العناية بورش الاشغال وتزويدها بالآلات والأدوات اللازمة ، وتقسيمها الى أماكن لحفظ الخامات ، وللتجريب ، وللتشغيل وللعرض ، هي عناية تزيد من تحقيق الخبرة الشاملة المتكاملة لدى التلاميذ ٠

كذلك يسهم نشاط التربية الفنية وما ينطوى عليه من خبرة جمالية ، في تنمية القدرة الابتكارية لدى التلاميذ، فالنشاط الفني كما عرفنا يقوم على حساسية خاصة ٠ كالحساسية لمشاكل الأفراد واتجاهاتهم وميولهم ومشاعرهم ، وبوجه عام الحساسية بخبرة الحياة ٠ وبمعنى آخر يقوم على الملاحظة الدقيقة للأشياء والكشف عن العلاقات بين عناصرها ، والبحث والمعاناة لكشف القيم الجمالية كالايقاعية وغيرها بهدف الوصول الى صياغة جديدة يكتمل بها التعبير عن وجهة نظر الفنان ، فهو يرى رؤية جديدة للأشياء ، ويدرك معانى جديدة للاشكال والأفكار ، فيسعى الى تحقيقها في عمله الفني ٠ وهو حينئذ يستجيب استجابات انفعالية تتمثل في معاناته لتحقيق خياله أو رؤيته الجديدة أو ادراكه للمعانى الجديدة ٠ وهكذا يمضى في ممارسة تنطوي على بعض العمليات الابداعية كالتبسيط والتلخيص والاضافة والاكتشاف واعادة التنظيم بين العلاقات حتى يجيء عمله محققا لغايته ٠

وهكذا نجد أن للفنان ولغيره من ذوي الشخصيات الابتكارية القدرة على الانطلاق في استحداث الفكر اللماح لحل المشاكل التي تعترضه · كذلك فانه يتميز بالاصالة التي تتمثل في القدرة على رؤية العلاقات المستترة والاستجابة البناءة غير المألوفة · كذلك تتسم الشخصية الابتكارية بالمرونة في تغيير السلوك وايجاد البديلات في حل المشاكل · وبقدرتها على التكيف مع المواقف · وهكذا تبدو الشخصية الابتكارية على نحو ديناميكي فعال قادر على اعادة تشكيل الخبرة في وحدة جديدة متميزة ، وعلى نحو يتمثل في نمط نشيط يستهدف التجديد ·

ملخص البحث

تحاول هذه الدراسة أن تجيب على السؤال التالى :

أين الخبرة الجمالية من مفهوم الخبرة ؟ وما هو دورها التربوى ؟

ذلك أن الخبرة الجمالية ذات تأثير خاص لما ينشأ عنها من اتجاهات وقيم تتصل بالاحساس والتذوق والابتكار · وقد اشتملت هذه الدراسة على النقاط التالية :

١ ـ تطور مفهوم الخبرة :

وقد اقتضى هذا عرضا موجزا للخبرة وعلاقتها بالأسس الفلسفية للتربية قديمها وحديثها ·

٢ ـ الخبرة الجمالية وكيف تكتسب :

وقد استدعى هذا عرضا سريعا موجزا لرأي جون ديوى في أن كل نوع من أنواع الخبرة حتى الذهنية منها له جانبه الجمالى ·

٣ ـ الخبرة الجمالية في التربية :

وفي ذلك يوضح البحث الدور الفعال للتربية الجمالية في الارتقاء بالأعمال الفنية وبالخبرة الجمالية لدى الأفراد · كذلك يوضح البحث دور التربية الفنية في نمو الشخصية الانسانية وفي تنمية القدرة الابتكارية لدى التلاميذ ·

ABSTRACT

This study answers the following question : What does the aesthetical experience concept mean in the context of the concept xperience? And what is its educational role? This study is in tune with the belief that aesthetical experience has a special effect on the attitudes which are related to sensation, appreciation, and creation. A review of the related literature and an analysis of data have been worked out. The emphasis was on three major elements:

1. The development of the concept "Experience",

2. The aesthetical experience: its concept and how to be acquired, and aesthetical experience in education.

The study has explored the effective role of aestheitcal education in developing and crystalizing the artistic, objects and aesthetical experience of individuals. It also disclosed the role of art education in the development of both human being personality and creation ability of students.

المراجع

١ ـ **جون ديوى** : الفن خبرة ، ترجمة زكريا ابراهيم ، مراجعة زكي نجيب محمود ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٣م ٠

٢ ـ **زكي نجيب محمود** : الصورة في الفلسفة والفن ، المجلة ـ العدد ٢٧ مارس ١٩٥٩م ٠

٣ ـ **محمد لبيب النجيحي** : مقدمة في فلسفة التربية ، الطبعة الثانية ، مكتبة الانجلو مصرية ، ١٩٦٧م ٠

٤ ـ A.D.C. Peterson: Techniques of Teaching, Volume I, Pergamin Press, Oxford, 1965.

٥ ـ John Dewy: Democracy and Education, N.Y., The Macmillan Co., 1954.

٦ ـ Robert L. Ebel: Encyclopeadia of Educational Research, ed., N.Y. Macmillan Co., 1968.

٧ ـ Victor Lowenfeld & W. Lambert Brittain: Creative and Mental Growth, ed., N.Y., Macmillan Co., 1968.